نحو انسداد فكري في النقد العربي المعاصر

Towards an intellectual stagnation in the contemporary Arab critique

الدكتورة بريزة بهلول

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)

مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الطارف

bahloul-bariza@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/02 تاريخ القبول: 2026/01/17 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

لم يسهم النقد العربي في توليد النظريات النقدية الحديثة والمعاصرة أو المشاركة في انبثاقها، فكلها نتاج غربي صرف،إنما كانت ساحته دوما المستهلك لها بامتياز، دون تمحيص أو إعادة نظر،وبتنا ننتظر ما ينتجه الغرب ونقبل عليه إقبال الأكلة على قصعتها.

إن الاعتماد النقد العربي كليا على الآخر، والتبعية الفكرية له، يجعلنا نتساءل عن الأسباب المؤدية لذلك، وعن انسداد الفكر العربي،وعجزه عن إنتاج معرفة نقدية أو نظرية تكون ابنة شرعية لبيئتها، نستطيع من خلالها سبر أغوار النصوص الأدبية العربية بمنهج عربي قح. لذا سنحاول في هذه الورقات رصد أهم الأسباب والعوامل المؤدية إلى انعطاف الفكر العربي النقدي نحو الانسداد.

الكلمات المفتاحية: مناهج نقدية؛ الغرب؛ النقد العربي؛ أسباب انسداد.

Abstract:

Arab critique did not contribute to the development of modern and contemporary critical theories, which are all completely Western inventions. In truth, its function has always been that of the consummate consumer, with no room for doubt or reconsideration. Furthermore, we've come to expect and embrace what the West provides.

The complete reliance of Arab criticism on others, as well as its intellectual subordination to them, raises questions about the reasons for this, as well as the blockage of Arab thought and its inability to produce

critical or theoretical knowledge that is a legitimate offspring of its environment, allowing us to plumb the depths of Arab literary texts using a purely Arab approach.In this study, we will examine the factors that contribute to the stagnation of Arab critical thought by exploring .

***key words**:* Critical approaches; the West; Arab critique; causes of obstruction.

تمهيد:

يعتمد الفكر البشري على التجارب المعايشة، ويتشكل من خبرات ولدت، وأخرى حلت وثالثة يستشف حدوثها، فيستمد منها استمراره وأفاقه المتنوعة، ليبْنِيَ على إثرها وجوده الممكنفجاءت المعارف لا متناهية والأفكار لا محدودة، ما دامت هناك قابلية للتجديد والتغيير.ويبقى أهم عامل لتوالد الأفكار والعلوم الإنسانية ككل هو تناقلها بين الأجيال والأمم، وتبنيها من طرف العلماء، وهذا ما شهده الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وغاب عن فكرنا العربي إلى يومنا هذا.

وقد استطاع النقد الأدبي الحديث والمعاصر في ظرف قرنين -العشرين والواحد والعشرين- أن يغرقنا بالعديد من المناهج المتناولة للنص الإبداعي، بطريقة تراكمية باستثماره للأفكار المتوالدة من نظرية إلى أخرى،ولعل تواجد المناهج النقدية من بعضها البعض كان وفق نسق موحد للمعرفة،والمنظم لها في منطق واحد،فيتشكل التفكير النقدي لكل منهج من منظور ثابت دل على ذاته.

إن الابتعاد عن الجمود الفكري الذي شكلته نمطية الثقافة العربية، يتطلب منا أن نمارس التفكير النقدي في جميع مجالات الحياة، والبحث عن عوالم جديدة أكثر حيوية،تطّلع إلى المستقبل،"لأن النقد هو الخطوة الأساسية الأولى في تجاوز إشكالات الثقافة العربية، فالنقد هو الأداة التي تشق طريق التطور، وبقدر ما يكون النقد يكون التطور... فإن امتنع النقد امتنع التطور، وصرنا بلا مستقبل، فالعلاقة بين النقد والمستقبل علاقة تلازم ضروري"[(1)]وإذا كان النقد كذلك لم لا نجد هذا التطور في واقعنا النقدي والثقافي ؟

يعود ذلك يقينا إلى أن الأعناق تشرئب دوما نحو الآخر، وانتظار الزاد النقدي من تجاربهم وآرائهم الفكرية، وتخلي الجيل العربي المعاصر عن استثمار أعمال سابقيهم من النقاد القدامى، فلم يستطع القارئ العربي الاستفادة من تلك التراكمات النقدية الحديثة، ولا ربطها بتراثه النقدي، وبات مجرد مقلد لا غير.وهذا ما أحدث انسدادا في التفكير النقدي العربي المعاصر.

و السؤال الملح هنا:

-أين واقع النقد العربي من الفكر العالمي؟

-لم لا نسائل النقد الغربي مساءلة معرفية تصل بنا إلى التجاوز، رغم علمنا اليقين بوجود ثغرات كبيرة في هذه المناهج؟

-لم بقي الحديث إلا على المناهج الغربية ودورها في النص،فهل نعجز عن الإتيان بمثله؟

1-و اقع النقد العربي معاصر

تحدد الفترة المعاصرة من الفكر الإنساني منذ بداية القرن 21 ميلادي، الذي شهد تطورا لا مثيل له في كل المجالات بفضل التكنولوجيا والرقمنة، والاتصال غير المقيد للأفكار والعلوم، والعالم العربي ليس بمنأى عن هذا الاتصال الذي –للأسف- لم يكن متبادل التأثير،إنما كان في اتجاه واحد تأثرا بما في المعرفة الغربية من اتساع فكري وتجديد منهجي.

1-1-اتجاهات استقبال النقد المعاصروأجياله:

يمكن اختزال واقع استقبال العرب للمناهج النقدية الحديثة والمعاصرة في كلمة المستهلك، وإذا فصلنا في صورة هذا الاستهلاك سنجد أن الساحة العربية قد أخذت ثلاثة اتجاهات[2] لتواجد المناهج الغربية في ساحتها:

- **الاتجاه الأول**: انغمس في هذه المناهج ودعا للإقبال عليها ضرورة الاستفادة منها لأنها تمثل وجه الحداثة، ودافع عنها لما فيها من مواكبة للمستجدات والتطورات الفكرية النقدية،ومن النقاد هذا الاتجاه: محمد مفتاح، صلاح فاضل، حسن الواد، حميد الحميداني، محمد بالنيس...

- **الاتجاه الثاني**: يرفض الانغماس في المناهج النقدية المستحدثة والمعاصرة، ويدعو إلى العودة للإرث العربي القديم والتأصيل النقدي،والنهل منه،ونجد من نقاد هذا الاتجاه عبد العزيز حمودة...

- **الاتجاه الثالث:** وهو الاتجاه الوسطي يطبق مقولة لا إفراط ولا تفريط، ويدع وللمزاوجة بين القديم والحديث،بالتمسك بالتراث والنهل من الحداثة الغربية،يمثل هذا الاتجاه مصطفى عبد الفتاح كليتو، عبد الله الغدامي، عبد المالك مرتض...

وحسب صلاح فضل نقسم أجيال استقبال العربي للنقد الحديث والمعاصر إلى ثلاثة أجيال[3]:

-**جيل الأساتذة:**وهم الرواد من أمثال العقاد وأحمد شوقي وطه حسين وخليل جبران والمازني وعبد الرحمن شكري وميخائيل نعيمه،أعمالهم زاوجت بين النقد الجديد وبين إحياء التراث النقدي القديم، وإعادة قراءته على ضوء هذه التيارات الحديثة الغربية، فكان دورهم في تطوير مفاهيم الأدب والفكر النقدي،وتأسيس وعي منهجي للأدب والنقد على العموم.

-**جيل نقاد الأدب**: وهو الجيل الثاني كان وسطيا، نضج فكرهم في خمسينات القرن الماضي(20) من أمثال محمد مندور ولويس عوض ونازك الملائكة وشوقي ضيف وإحسان عباس

وغنيمي هلال،بإنجازاتهم فصلوا النقد عن الأدب وعملوا على استقلالية الدرس النقدي عن الدراسات الأدبية، ومراعاة الخصوصية والتخصص، وذلك لوعيهم بطبيعة تشكل المدارس الأدبية والاتجاهات النقدية وتنمية مجالات المعرفة المتصلة بالنقد والأدب، فاقتصر زعماء هذا الجيل على مراجعة ما جاء به أسلافهم وسابقيهم دون استثمار، كما فعل مندور في كتابه "في الميزان الجديد"، والالتفات إلى الغرب دون محاورته وتوظيفه مع رؤى ومقولات النقد العربي القديم.

جيل نقاد الحداثة: جاء مع نهاية القرن 20 وهم النقاد الذين اشتغلوا على البنيوية وما بعدها، نجد مع هذا الجيل الخروج من مركزية المشرق إلى انبثاق مركزية في المغرب والخليج والمهجر، تميّز عصرهم بكم من هائل من المهتمين بالنقد الحداثي، والنتاج فيه تنظيرا وتطبيقا وترجمة، وطوّروا خطاب نقديا عربيا حديثا، مستوعبين ما كان من معطيات أيديولوجية نقدية ومنهجية،"تعتمد على التركيب بين المتجانس من التيارات المختلفة والنمذجة المؤلفة بين المناهج المتعددة والإنجاز المتميز في صلب الثقافة العربية"[4]والنقطة الأكثر بروزا في هذا الجيل تتمثل في إحداث القطيعة مع التراث العربي القديم، وجدة المصطلحات، والدخول في إشكالات منهجية متعددة لعجزهم على تمثيل سياقها المعرفي.

2.2.وضع النقد العربي المعاصر:

يعود الانفجار النقدي العظيم إلى النصف الثاني من القرن من العشرين (20) الذي اعتبر عصر النقد الذهبي بحق[5]، واستقبلت الساحة العربية هذه المناهج النقدية الداخلة عليها عن طريق الترجمة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ثم محاولة هضمها وتطبيقها على الإبداع العربي بعد جمود فكري دام قرون عدة[6]، ورغم الاستفاقة المتأخرة في العصر الحديث التي لم تجعلنا نربط الماضي بالحاضر بقدر ما جعلتنا ننغمس في القادم من الآخر، وفي كثير من الأحيان دون هضم أو وعي، لذا كان الاستقبال المناهج الحداثية وما بعدها (الشكلانية والبنيوية والسيميائية والتفكيكية...) متذبذبا سقطت فيه أقلام الكثير من العلماء خاصة في مجال تطبيقها، بسبب الترجمات المغلوطة والفهم السطحي للمقولات والمفاهيم النقدية الحديثة والمعاصرة.

لقد عبّر الناقد التونسي توفيق الزبيدي عن وضع وواقع النقد العربي المعاصر بمصطلح تسيّب العملية النقدية[7]، وضح من خلاله أن الدارسين للخطاب النقد العربي استشعروا بظاهرة غريبة هي التسيب [تشتت] في العملية النقدية، مفادها غياب الخطاب الأبستمولوجي المعرفي النقدي.ويؤكد أن هذا التسيب ازداد حدة في عصرنا الحالي على العصور العربية القديمة، لتعدد مستعملي الخطاب النقدي، وتفاوت المرجعية الفكرية والأرضية المعرفية المشكلة لقوة المعرفة للنقاد؛ ويضيف"إن النقد العربي القديم شكل نظرية مخصوصة، وأنه استقام علما له موضوعه ومصطلحاته وقضاياه الإجرائية، ولقد كان القدامى أشجع منا في التعبير عن قيام هذا النقد، ولم

يقل بعض العرب المعاصرون بذلك إلا لأنهم وجدوا الغربيين قد تحدثوا في ذلك من الشكلانيين الروس إلى منظري الشعرية إلى دارسي النظرية الأدبية."[8] فلم يزيدوا على حديثهم إلا بالترجمة المتباينة، والنسخ المكرر.

يدعم ما قيل أعلاه ما ذكره الناقد محمد خرماش عن واقع استقبال المغرب– لاسيما العرب- للنقد العربي المعاصر بأنه استقبال ارتبط بالوجهات الأيديولوجية التي استغلته استغلالا غير خالص،فلا يخدم دائما وجهة التفكير الأدبي والنقدي، لتظهر محاولات محتشمة، تحاول فهم المناهج النقدية، لكنها قليلة الفاعلية لاكتفائها بالمفاهيم العامة.[9]دون الغوص في عمق هذه الخطابات النقديةومساءلتها فكريا ومعرفيا.

نصل إلى نقطة مهمة في تبني العرب للفكر النقدي الغربي، مفادها التساؤل عن نجاعة الانتقادات العربية الموجهة للمناهج الغربية المعاصرة سواء من جانب التنظير والتطبيق-منها على سبيل المثال أنها كلها مقاربات نسبية تحمل في طياتها تصورا، تركز على عنصر معين في العمل الإبداعي دون العناصر الأخرى-[10]فأين البديل؟لماذا بعد هذا التحديد لنقطة الضعف في النظريات النقدية لا تتضافر الجهود إلى إنتاج المنهج الأكثر دقة في قراءة النص الإبداعي؟لمنكتف بالنقد فقط ولا نتجاوز هذه الاتجاهات النقدية، وإنتاج رؤى نقدية جديدة، تخرج من الساحة العربية وإن كانت على ضوء وتراكم الفكر الغربي؟بمعنى أوضح لم لا نستحدث نظرية عربية في النقد؟

ربما الإجابة تكون في وجوب التخلص من التبعية الفكرية، والثقة في النفس، ونعمل التكاملي بين النقاد لتجاوز الأخر،وإيجاد البديل الذي يعبر عن قوة فكر النقد العربي.

3.عوامل انسداد الفكر في النقد العربي المعاصر:

إن تحديد الأسباب المؤدية لانسداد الفكر في النقد العربي المعاصرة ، وتشخيص عوامله لا يتطلب رصد القدر الكبير من الدراسات النقدية لاستبانتها جلية في الساحة العربية، وطفوّها على سطح الإشكالات النقد العربي المعاصر،والتي يمكن ضبط بعضها في الآتي:

الاعتماد الكلي على الآخر.

عدم قراءة التراث النقدي قراءة استثمارية.

مشاكل استقبال المناهج النقدية وهي من أهم إشكالات النقد الحديث.

مركزية الفكر النقدي العربي ثنائي الأقطاب (مشرق/ومغرب).

أحادية البحث؛ فكل ناقد ينفرد بفكره دون البناء على الغير.

عدم استثمار الأفكار المحلية في النقد المعاصر وتطويره للنظرية.

الشعور بدونية الأعمال النقدية العربية.

الاكتفاء بتحديد التأزم والانغلاق دون التجاوز.

سنخوض في بعض هذه الأسباب حتى نقف على حجم هذا الانسداد وآفاقه.

3-1-الاعتماد الكلي على الآخر:

يسير على كل مطلع على تاريخ النقد الحديث والمعاصر أن يكتشف أنه تولد عن طريق الاستنساخ لما جاء به الغرب من نظريات ومناهج،"لأن نزعة الالتفات جهةَ الغربِ لم تترك مظهرًا ماديًّا ولا تعبيرًا ومُكوِّنًا رمزيًّا إلا وجذَبَته."[11] إذ كل المدارس التجديدية للنقد العربي بدءا من الديوان والرابطة وجماعة أبولو وصولا إلى النقاد المهتمين بالنقد المعاصر تركزت أعمالهم على محاكاة الغربي، ونقل فكره النقدي نظريا وتطبيقا دون فتح مجال للتجاوز والتجديد؛ بل كانت العديد من محاولات النسخ بعيدة عن الأصل،فلم تخرج أعمال النقاد عن "نسَق التقليد لمناهج وأدوات النقد الأدبي الغربي، يتقلَّبون في فصولها، ويتمرَّنون على مساطرها، وقليلٌ منهم عرف كيف يقرأ النص الإبداعي في ذاته"[12]، مما أحدثت إرباكا وتذبذبا في الوسط النقدي العربي، وتضاربا في درسه، وأكبر دليل على ذلك إشكالية المصطلح التي يعاني منها كل منهج غربي ولج إلينا.

إن عملية التلقي للمناهج النقدية الحديثة والمعاصرة لم تكن بنية الهضم والاستفادة بقدر ما كانت انغماسا وذوبانا المطلق في فكر آخر، فمن" الأزمات الحادة التي يواجهها الواقع النقدي الحديث هي التبعية الفكرية، وغياب شخصية الباحث. وبداية حل الأزمة المنهجية استقلالية الناقد العربي المنهجية، وموقفه الواضح من كل ما يعرض في الماضي والحاضر، والشرق والغرب."[13]لأن هذا الانغماس والتبعية تجعل الساحة العربية تعتمد اعتمادا كليا على المناهج النقدية ومستجدات الغربية دون التجاوز والاستثمار،ويستحيل إسهام الانفتاح على الآخر ومواكبة درسه إلى إسهام استهلاكي لا غير.

2.3.القطيعة مع التراث النقدي العربي

نقصد بالقطيعة عدم قراءة التراث النقدي العربي الأصيل قراءة استثمارية لتطويره وإعادة إنتاجه، وتوليد مناهج قرائية منه، كما فعل النقاد الغرب حين هضموا تراثنا وإرثهم الإغريقي، وتجاوزه إلى إبداع الجديد من النظريات عرفت تحت مسمى المناهج الحداثية وما بعد الحداثية، ومن قبلهم أسلافنا رواد النقد الأوائل الذين درسوا أدب وفكر الآخر، ودمجوا ذلك مع فكرهم لتكوين توليفة نقدية عربية أصيلة، بينما بقي النقد العربي حاليا يخوض في عقدة التراث مقابل الآخر، يؤججها تياران، تيار الاحيائيين وهم ناسخون جيدون للتراث، وتيار المجددين الناسخون للنقد الغرب.الذي"تكرَّر إلى حد أنه أمسى حكمًا جاهزًا، وبِتْنا نسمعُ بعضَ المتأخرين في البيئة الأدبية، أدباءَ ومعلقين ومن في مدارهم، تتهافَت على ألسنتهم وفي أوراقهم أقوالٌ قطعية تُلغي نقدَ عقودٍ سابقة، وتتشدَّق بمصطلحاتٍ ومفاهيمَ مجزَّأة من سياقٍ ثقافيٍّ بعينه ما كانت لتُوجَد أصلًا

لولا خطواتُ الروَّاد وجهودهم التأسيسية."[14] بذلك غدى استثمار التراث العربي القديم غير موجود في عصرنا الحالي؛مما أحدث قطيعة منهجية وبحثية بين النقاد العرب المعاصرين وبين التراث ، كرسها خاصة جيل نقاد الحداثة ناجمة عن تمركز عملهم على مقارنته فحسب.

هذه القطيعة مع التراث لم تشمل النقد فحسب بل"راحت الصلة تنقطع تدريجيًّا مع الأجناس والقوالب والوسائط والبلاغة والمعجم ... لينتقلوا إلى استعارة واستعمال...للأشكال والأنواع الأدبية لغيرهم، في الشعر والنثر اللذَين قطَعا مع تقاليدهما المتوارَثة والمتراكَمة عَبْر العهود، وراحا ينضويان عقدًا بعد عقد على امتداد القرن الماضي تحت لواءِ ما أصبح يُعرَف بالعصري أو الحديث أو المحدَث أو الجديد الذي صارت له ألوية.[15]فكانالتوجه مباشرة إلى المناهج الغربية دون استثمار تراثنا النقدي وإعادة إنتاجه وبنائه،وتركز العمل على استقبال النقد الغربي ومحاولة مقاربته بالدرس النقدي العربي القديم.

إن العودة لتاريخ النقد العربي القديم ليس بكاء على الأطلال، بقدر ما هو استحضار لنهضة أدبية ونقدية ناصعة، ولعلمنا اليقين أن الفكر العربي القديم شهد منذ القرن الثاني هجري إلى الخامس هجري مرحلة بناء معرفي، وتطور حضاري، ولدت فيه أمهات الكتب النقدية والأدبية، وبرزت أسماء لها أثرها،وبصمتها في تاريخ الأدب العربي خاصة والعالمي عامة، ولا زال أثرها لحد الآن. فنحن"نعيد من حين إلى حين النظر في تراثنا ونعود إلى تأمله وتفسيره وتقويمه. وهذه العودة المستمرة ليست نزقًا طائشًا نابعًا من عدم النضج وعدم الاستقلال، ولكنها عودة نابعة من ضرورة وجودية، وضرورة معرفية في نفس الوقت. فليس التراث في الوعي المعاصر قطعة عزيزة من التاريخ فحسب، ولكنه -وهذا هو الأهم- دعامة دعامات وجودنا، وأثر فاعل في مكونات وعينا الراهن..."[16] نلتف حوله لإثبات الأصالة، ولاتخاذه أرضية صلبة لاستمرار الحضارة والتفوق.

إن سبب العودة إلى هذه القرون الماضية هو بتر القطيعة المنهجية،والبحث عن سيرورة واتجاه لفكر نقدي عربي معاصر موازٍ لسيرورة واتجاه الفكر النقدي الغربي، بدءا من استثمار هذا الإرث إلى تمحيص خزانة النقد المتراكمة في زماننا الحالي، "لذلك يتعين علينا أن نتحرك دائمًا حركة جدلية تأويلية بين وعْيِنا المعاصر وبين أصول هذا الوعي في تراثنا. هذه الحركة يتحتم عليها ألا تغفل المسافة الزمنية التي تفصلنا عن التراث، وعليها في نفس الوقت ألا تقع في أسر هذا التراث رفضًا أو قبولًا غير مشروط، فالتراث -في النهاية- مِلك لنا، تَرَكه لنا أسلافنا لا ليكون قيدًا على حريتنا وعلى حركتنا، بل لِنتمَثَّله ونعيد فهمه وتفسيره وتقويمه من منطلقات همومنا الراهنة."[17]فقراءة التراث النقدي العربي القديم مرهونة بمدى الوعي به من جهة، ومن جهة أخرى مدى تطويعه مع مستحدثات العصر، قصد إعادة إنتاجه في أفاق نقدية أكثر تطورا.

إن التحدث عن طفرة بناء وتطور النقد العربي يجعلنا نعود إلى ما كان من أعمال نقدية عربية في إرثنا الماضي،أو ما يعرف بالعصر الذهبي للنقد العربي القديم، ثم الإمعان في أسباب التدهور والركود الفكري لهذا النقد، بعد هذه الأزمنة الوهاجة. فنحن نعيش اليوم-في زمن الحداثة والمعاصرة-مرحلة تلقٍ للنقد الغربي مترنح بين الاجترار ومحاولة الاستثمار، وإذا أردنا أن نعود للنقد العربي القديم ليس لبيان أنه كان على دفة التفوق والتطور،إنما لنبحث عن العلل انقطاع هذا التفوق، والفجوات الفكرية العميقة بيننا وبينه، والتي أحدثت هذا البتر المعرفي وهذا الانسداد الفكري النقدي.

3-3-إشكالات الترجمة واستقبال المناهج الواردة

إن أكبر أزمة وقع فيها النقد العربي الحديث والمعاصر عند تلقيه للنظريات الغربية، هي دخوله في إشكالات عديدة، ترجع للترجمات المختلفة والمختلطة، وعدم الاتفاق على هيكلة اصطلاحية موحدة، "وما اختلاف المصطلحات العلمية في بلادنا العربية إلا داء من أدواء لغتنا الضادية"[18] إلى جانب عدم فهم المقولات النظرية للمنهج المستقبل، وفشل تطبيقه على المتون الأدبية العربية.

شهدت الساحة النقدية العربية تناثرالترجمات مختلفة ومتفرقة من شأنها أن تسبب الزّخم الموصل إلى الفوضى، والضبابية في المفهوم والمصطلح، وعليه"يواجه دارس الأدب هذه الأيام حشدًا من المصطلحات لم يكن يألفها أسلافه، ... ومكمن الخطر في ذلك أنه قد يتصور لهذه اللفظة أو تلك معنًى من المعاني ويستخدمها لتدل عليه، بينما يستخدمها غيره لتدل على معنًى آخر، وتكون النتيجة أن تصبح لدينا عدة لغاتٍ نقدية اصطلاحية بدلًا من لغةٍ نقدية اصطلاحية واحدة، وفي هذا ما فيه من البلبلة؛ إذ ربما تعذر التفاهم بين النقاد، وربما ظنوا أنهم مختلفون وهم متفقون أو العكس، والضحية في النهاية هو القارئ"[19]،والإبداع ككل،لعدم الوصول إلى قراءة تهيكل النص الأدبي في قالب فني جديد، وتعيد إنتاج معناه بصورة علمية ممنهجة.

يفرض الوعي المعاصر على "النقاد العربي أن يمتلك أفكار هذه المناهج ومبادئها وفي طليعتها البنيوية، ويمتلك وعيا يراعي خصوصية الثقافة العربية."[20] لتجنب القراءات السطحية للمفاهيم، والترجمات المغلوطة القاصرة على تبسيط مقولات النظرية، فرغم وجود العديد من المجمعات العربية للترجمة،والتي تعمل على ترجمة المصطلحات،وتحديد مفاهيم المناهج النقدية، لكنها لم تعالج الإشكال القائم،ولم تذلل صعوبات التلقي،لذا نستغرب غياب دور هذه المجمعات، وضعف فاعليتها في الدرس النقدي.

3-4-مركزية النقد العربي المعاصر

إن العمل النقدي في الساحة العربية مبني على ثنائية الأقطاب، قطب المشرق في مقابل قطب المغرب، وهذه القطبية جعلت النقد لا يلتف حول مسار موحد،إنما عملت كل جهة على حدة، وبنوع من التعصب،واعتبار ما ينتج منها الأكثر جدية وصوابا، فنجد مثلا محمد عناني يرى أن "أكبر بلاء شهدَته الساحة النقدية هو استخدام المصطلحات الجديدة في كتابات بعض العرب الذين تلقَّوا علومهم بالفرنسية [يقصد النقاد المغاربة]، وانقطعت صلتهم على مدى قرنٍ أو أكثر بحركة الترجمة والتعريب في المشرق العربي، فشرعوا يكتبون العربية القائمة على ترجماتٍ ركيكة من الفرنسية، واكتسبوا نفوذًا في الآونة الأخيرة بسبب غرابة ما يقولون وبسبب سحر الجدة في كتاباتهم، فكلامهم غريبٌ يثير الخيال."[21] فلم يُعِدْ محمد عناني غرابة كلام النقاد المغاربة وترجماتهم الركيكة لأسباب منطقية وموضوعية ، بل حصر مطية فشلهم في انفصالهم عن المشرق.

يشهد النقد العربي المعاصر جراء هذه المركزية والفُرْقَة ظهور عدد كبير من النقاد ومن الأعمال النقدية،"لا تصلح أن تكون أصلا ثابتا يرجع إليه في نقد الأدب المعاصر أو سواه،لأنها آثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا، وينظر إلى الأعمال الأدبية من زاوية خاصة، قد يكون فيها بعض الصفاء، ولكن فيها من غير الشك كثير من السحب والضباب الذي يحول دون الرؤية الواضحة، والتقدير السديد."[22] وقد ساهم الاستقلال الإقليمي للمجتمعات العربية – بسبب تباين الأبعاد السياسية، والإقليمية، والفكرية...- على تولّد هذه المركزية والجهوية وتغذيتها.

يذكي هذه المركزية العمل الذاتي للمجامع العربية، فكل مجمع يطلق مقترحاته دون عرضها على هيئة موحدة له، أدى هذا إلى انقطاع التواصل العلمي بين الباحثين العرب، فنجد محاولات فردية للخطابات النقدية،ومتفرقة حتى داخل البلد الواحد، فلا يتبين القارئ لا حدودها ولا معالمها، وهي في الآن ذاته لا ترقى لأن تكون عينات للقراءة[23]. وكان الأجدر الاتفاق على نسخة عربية جامعة، وإعطائها الصيغة العلمية عند نقلها، تلملم جهود الباحثين والمفكرين العرب في مسار نقدي موحد.

3-5-الو اقع العربي الاجتماعي والسياسي:

لما كانت البيئة العربية أيام الدولة العباسية متطورة فكريا وإبداعيا، ما شكل مظهرا حداثيا للحضارة العربية وقتها، كان لابد للنقد أن يواكب هذا النمو. فقد نتج فطريا على صليقة العرب ثم أخذ يؤسس لنفسه الحياة العلمية والعملية، فتولد عنه إسهامات في النقد الفني المعروف بالنقد البلاغي.ولكن في غياب هذا التطور ودخول المنطقة العربية منذ العصر الحديث في أزمات سياسية واقتصادية، وخضوعها لوطأة الاستعمار المستنزفة للحياة ككل،وتعرضها "لهزات عنيفة ومعارك كثيرة مع أعداء حريتها وسيادتها على أرضها وثروتها ... ولم تدع تلك المعارك لهذه الأمة فرصة تعيد فيها بناء نفسها، وتضع بيديها الأساس لحياة مستقرة في السياسة والاجتماع والعلم والفن"[24]،

فتأثر النقد أيما تأثر، ولم يستطع أن يبدع سوى أقلام، حاولت هضم ما كان للعرب الأوائل، وما جاء به الغرب من حداثة نقدية.

لم تساعد الاضطرابات في الحياة العربية على الإبداع والتميز؛ بل جسدت مرحلة ضعف في جميع المجالات لا سيما النقد، إذ سجل فيها النقد العربي نمطية وتكرارية لنماذج غربيه مترجمة بغض النظر عن سلامة تلك الترجمات، كما وفد على ساحتنا-في جميع المجالات لا سيما الفن والأدب-الكثير من المبادئ الجديدة البعيدة عن مبادئنا وتقاليدنا،"ووقفت الأمة العربية أمام تلك المبادئ الجديدة الغريبة المتناقضة وقفة الحائر المشدود الذي لا يدري أيها يأخذ وأيها يدع..."(25)فعاشت بذلك التبعية الفكرية، والشتات المعرفي، وتعطيل حركة النقد. بتأجيج-في الكثير من الأحيان- معارك حول الأصالة والحداثة دون العمل على بناء أرضية نقدية جديدة.

3-6-التسارع في وتيرة التحولات الأدبية:

أدت قوة التكنولوجيا والتطور الرقمي، والانفتاح العالمي منذ القرن الماضي إلى يومنا هذا إلى توالد الأجناس الأدبية،وتجديدها،وتطور العملية الإبداعية برمتها، فاختلفت وجهات النظر حول النص والمبدع والقارئ، وتغيرت عناصر النقد والقراءة، وكثر النتاج الأدبي المتعالق مع الفنون الأخرى، مما وسع في الساحة النقدية،وأدى إلى عدم قدرة النقد العربي على مجاراة هذا التسارع.

تسير حركة نمو النقد العربي ببطء مقارنة بالغرب، مما سمح بتطوره ، وظهور مناهج نقدية حداثية غربية،وغيابها عندنا،لتصير "مهمة وصل أدبنا ونقدنا بالآداب العالمية -على وجه كامل- تتطلب جهدا كبيرا إذ أن علينا أن نقطع في فترة نهضتنا الأدبية القصيرة ما قطعته الآداب الكبرى العالمية في قرون طويلة تلافيا لتخلفنا طوال هذه القرون، ولهذا نرى بيننا من يعيشون بأفكارهم في النقد والأدب في عصور متخلفة عن عصرنا ويضللون بآرائهم ونقدهم وعي الجمهور."[(26)]فلم نستطيع مسايرة هذا المد المتجدد في الفكر النقدي العالمي،فسادت الفوضى والاضطراب والرؤية الضبابية.

3-7-عدم استثمار الأفكار المحلية الجادة وهيمنة النقد التقليدي

يتسم الفكر النقدي العربي بعدم الانفتاح على نتاجه المحلي، وهذا لنقص العمل التراكمي بين النقاد، فلا نجد استكمالا للمحاولات النقدية الجادة،أو البناء على فكرتها، وإنما الاكتفاء على أقصى حد بمراجعتها وتقييمها،فمثلا في محاولة عبد المالك مرتضى لإيجاد قراءة كاملية للنص الأدبي لمن قرأ أي محاولة على أنقاضها، تحاول تأسيسها وهيكلتها وسد نقائصها، بقدر ما وجدنا بعض المحاولات التي تقيمها لا غير. ويعود هذا ربما للاحتباس الفكري وتشتت الرؤى المعرفية في النقد العربي، وإلا كيف نفسر هذا الجمود وعدم الإلمام بمستجدات الساحة المحلية؟

إن الجهود الفردية للنقاد أدت إلى تضارب الخطابات النقدية وتضليل القارئ،وتباين حول النظريات الأدبية ومناهج قراءتها، "وقد أدى هذا التباين إلى اختلاف الأسس والمعايير التي يبني النقاد عليها أحكامهم على الأدب والأدباء، فلم تكن هناك ثقافة واحدة أو ثقافات متقاربة يستملى منها النقاد آرائهم في الأدب وأحكامهم على الأدباء."[27]بل غلب على النقد العربي المعاصر النظرة التقليدية في قراءة النصوص الأدبية، فعلى الرغم من عمق تطور القراءة إلا أنها "لا تزال تميل إلى ذلك النمط التقليدي في الغالب، وهو الذي ينظر إلى المعنى كتجل ثابت لمقصديات الكاتب، مع أن معظم القراء لا يقرؤون في الواقع من خلال النصوص سوى تصوراتهم الخاصة وميولاتهم الإيديولوجية والنفعية، بمعنى آخر أنهم يؤولون النصوص أكثر من كونهم يفهمونها."[28] وبناء على ما ذكرنا آنفا فإن النقد العربي يئن لعدم قدرته على قراءة النظريات النقدية الوافدة قراءة صحيحة، وعدم التفاف الدراسات النقدية على مرجعيات موحدة، وآليات ومنهجيات مضبوطة،فلحقها الشتات في التنظير، وإشكالات في ضبط المفاهيم والمقولات الإجرائية، مما أحدث إرباكا في التطبيق.

3-8-الشعور بالدنية:

لحق الشعور بالدنية الفكر العربي برمته، من ذا كمجال النقد،فنظرتنا للدرس النقدي في مواجهة الآخر تحصرنا في مرتبة متأخرة بأشواط على ما هو موجود في الساحة العالمية،لاعتبار أنكل ما يستهل ويستقبل من الغربي يعد قيما وجديدا، وأن ما كان في أرضنا وبيئتنا فلا يصل إلى تلك القيمة الفنية والإبداعية العالمية،"فكيف إذا زاد النقاد والدارسون الطين بِلَّة إذا ما نظروا إلى جُل ما دوَّنه ويُدوِّنه الأدباءُ العربُ المحدَثون، على أنه قبساتٌ لا أكثر"[29]وهذا ما جعل الانتقاص في الكتابة محل تقييم كل عمل،فلم يتعد الأمر إلى أكثر من تقبل المناهج الغربية وتوظيفها والعمل على تبيئتها في النقد العربي،دون تجاوزها والعمل على توليد نظرية عربية، تؤسس لقراءة الأدب من منظور نقدي جديد.

إن الإحساس بالدونية يعود في أصله إلى الإحساس بعدم الاستطاعة على التجديد، وعدم تشجيع العمل عليه وعدم الاعتراف بالكفاءات القادرة على ذلك. لا يمنع أن هناك محاولات جادة لقراءة المناهج وتجاوزها، والانطلاق منها لتوليد غيرها؛كمحاولات رشيد بنكراد في السيميائيات، وعبد المالك مرتاض في نظرية القراءة

خاتمة:

-نخلص مما سبق أن النقد العربي المعاصر يعيش فترة فتور أدت إلى احتباس الفكر العربي النقدي على الإنتاج والتجديد بسبب:

-عدم قراءة التراث النقدي قراءة استثمارية.

-العمل المنفرد للنقاد العرب، وغياب والقراءة التكاملية بينهم غذّاها مركزية النقد العربي ثنائي الأقطاب.

-عدم الإلمام بمرجعيات المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة، وإشكالات ترجمة مصطلحاتها ومقولاتها الإجرائية،أوجد اضطرابا مفهوميا للنظريات، وخلطا في تطبيقها، وولد قراءات عقيمة مستنسخة من بعضها البعض لا توصل إلى التجديد، اكْتُفِيَ فيها بتحديد التأزم والانغلاق دون التجاوز.

-واقع النقد العربي الحديث والمعاصر واقع استهلاكي بحت، يغلب عليه النمطية والتقليد، لا يقدم فيه الناقد سوى اجترار الأعمال وقوالب جاهزة، دون تكييفها مع واقع الأدب العربي.

-الهرولة نحو ما ينتجه الآخر باعتباره يملك مفاتيح العلوم جعلتنا ننظر نظرة دونية لكل ما ينتجه نقدنا الأدبي، وأصل هذه النظرة الإحساس بعدم الاستطاعة على التجديد، وعدم تشجيع العمل عليه،والتنكر للكفاءات القادرة على ذلك.

الهوامش:

1- فريال حسن خليفة، النقد ومستقبل الثقافة العربية، دار رؤية،القاهرة، مصر،ط 1، 2013، ص: 6 -7.

2- المرجع نفسه، ص: 22.

3-صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1996، ص ،ص: 142، 154.

4- المرجع نفسه، ص: 153.

5-المرجع نفسه، ص: 5.

6- يقدر المؤرخون للأدب فترة الانحطاط الفكر العربي بدءا من سقوط بغداد على يد المغول عام 1258 م الموافق لـ 656 ه) إلى حملة نابليون على مصر عام 1798 م الموافق لـ 1213 ه، ما يقرب من 5 قرون ونصف، وشهد هذا العصر تراجعاً في الإبداع العلمي والفكري والأدبي.

7- توفيق الزبيدي، المنهج أولا في علوم النقد الأدبي، دار قرطاج، تونس، ط 1، 1997، ص: 13.

8- المرجع نفسه، ص: 13.

9- محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر البنيوية التكوينية بين النظرية النظري والتطبيق، مطبعه انفو، فاس، المغرب ، ط 1، 2001، ص: 1.

10- جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبه المعارف، الرباط، المغرب، ط 1، 2010، ص: 229.

11- أحمد المديني، رؤية السرد فكرة النقد: دراسات في أدبنا المعاصر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر،2024، ص: 19.

12-المرجع نفسه، ص: 19.

13سيد العيسوي عبد العزيز العيسوي، استقلالية الناقد العربي أمام الوافد وإسهامه في بناء المنهج شكري عياد أنموذجا، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المينا، مصر، المجلد 47، العدد 7، يناير 2023، ص: 2775

14- أحمد المديني، رؤية السرد فكرة النقد: دراسات في أدبنا المعاصر،المرجع السابق، ص: 13.

15- المرجع نفسه، ص: 19.

16-نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر ،2024، ص:49.

17- المرجع نفسه، ص: 49.

18- محمد طبي، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون، الرغاية، الجزائر، د ط، 1992، ص: 39.

19- محمد عناني، من قضايا الأدب الحديث: مقدمات ودراسات وهوامش، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، نسخة جديدة، 2025، ص:13.

20- بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية وتطبيقية، دار الفجر، الجزائر، ط 1، 2006 ،ص: 63.

21- محمد عناني، من قضايا الأدب الحديث: مقدمات ودراسات وهوامش، المرجع السايق، ص: 39.

22- بدوي طبانه، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط 3، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1986، ص: 30.

23- رشيد بن مالك،السيميائيات السردية، دار مجدلاوين عمان، الأردن، ط1، 2006، ص: 24

24- بدوي طبانه، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي،المرجع السابق، ص: 30.

25- المرجع نفسه، ص- ص: 30- 31.

26- محمد غنيمي هلال، قضايا نقدية في الأدب والنقد، دار النهضة، القاهرة، مصر، د ط، دت، ص: 20.

27- بدوي طبانه، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ،المرجع السابق، ص: 34.

28- حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب ، ط 1،2003، ص: 19.

29- أحمد المديني، رؤية السرد فكرة النقد: دراسات في أدبنا المعاصر،المرجع السابق،ص: 19.

قائمة المصادر المراجع:

1) أحمد المديني، رؤية السرد فكرة النقد: دراسات في أدبنا المعاصر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر،2024.
2) بدوي طبانه، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط 3، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1986.
3) بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية وتطبيقية، دار الفجر، الجزائر، ط 1، 2006 .
4) توفيق الزبيدي، في علوم النقد الأدبي، دار قرطاج، تونس، ط 1، 1997.
5) جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبه المعارف، الرباط، المغرب، ط 1، 2010.
6) حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب ، ط 1،2003.
7) رشيد بن مالك،السيميائيات السردية، دار مجدلاوين عمان، الأردن، ط1، 2006.

8) سيد العيسوي عبد العزيز العيسوي، استقلالية الناقد العربي أمام الوافد وإسهامه في بناء المنهج شكري عياد أنموذجا، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المينا، مصر، المجلد 47، العدد 7، يناير 2023.

9) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1996.

10) فريال حسن خليفة، النقد ومستقبل الثقافة العربية، دار رؤية،القاهرة، مصر،ط 1، 2013.

11) محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر البنيوية التكوينية بين النظرية النظري والتطبيق، مطبعه انفو، فاس، المغرب ، ط 1، 2001.

12) محمد عناني، من قضايا الأدب الحديث: مقدمات ودراسات وهوامش، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، نسخة جديدة، 2025.

13) محمد غنيمي هلال، قضايا نقدية في الأدب والنقد، دار النهضة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

14) نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر ،2024.